Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية
MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research

فلسفة النهضة من منظور العقيدة الاسلامية

م.د. طه كمال هاشم
كلية العلوم الاسلامية – الجامعة العراقية
Taha.k.hashim@aliraqia.edu.ig

استلام البحث:15-03-2026 مراجعة البحث :21-04-2026 قبول البحث:06-05-2026

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف فلسفة النهضة من منظور الدين الإسلامي، وذلك بتحليل الأسس الفكرية التي يقدمها الدين لدفع عجلة التقدم، وتحديد أبرز المفاهيم والمبادئ التي يمكن أن تُشكل ركائز نهضة حضارية إسلامية معاصرة. كما يتناول البحث التحديات التي تواجه هذا المنظور، ويقدم رؤية لكيفية اضطلاع الدين بدور أكثر فاعلية في تحقيق النهضة المنشودة. النهضة، بمعناها الأوسع، هي تحول حضاري شامل تشهده الأمم والشعوب، ويتجلى في جوانب فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية. في الوعي الغربي، ارتبط مفهوم النهضة بالخروج من عصور الظلام والتوجه نحو العقلانية والعلمانية، متأثرًا بتراث الإغريق والرومان. إلا أن الفكر الإسلامي يقدم منظورًا مختلفًا للنهضة، حيث لا ينفصل التقدم الحضاري عن الأسس العقائدية والدينية. ينظر العديد من المفكرين المسلمين إلى العقيدة الإسلامية لا كمجرد مجموعة من الشعائر الدينية، بل كإطار فكري ومنهجي شامل يمكن أن يكون محركًا أساسيًا لنهضة شاملة. شهدت الحضارة الإسلامية تاريخياً فترات ازدهار علمي وفكري وثقافي عُرفت باسم "النهضة الإسلامية"، والتي كانت مصدراً للعديد من الابتكارات والاكتشافات التي أثرت في البشرية جمعاء، بما في ذلك النهضة الأوروبية نفسها. يثير هذا الارتباط بين الدين والنهضة تساؤلات حول طبيعة هذه العلاقة، وكيف يمكن للدين الإسلامي أن يُسهم في بناء نهضة معاصرة تتصدى لتحديات عصرنا.

الكلمات المفتاحية: فلسفة – النهضة – منظور – العقيدة الاسلامية.

Abstract:
This research aims to explore the philosophy of renaissance from an Islamic perspective by analyzing the intellectual foundations that religion offers for driving progress and identifying the most prominent concepts and principles that can form the pillars of a contemporary Islamic civilizational renaissance. The research also addresses the challenges facing this perspective and offers a vision for how religion can play a more effective role in achieving the desired renaissance. Renaissance, in its broadest sense, is a comprehensive civilizational transformation experienced by nations and peoples, manifesting itself in intellectual, social, political, and economic aspects. In Western consciousness, the concept of renaissance has been associated with emerging from the Dark Ages and moving towards rationality and secularism, influenced by the heritage of the Greeks and Romans. However, Islamic thought offers a different perspective on renaissance, where civilizational progress is inseparable from doctrinal and religious foundations. Many Muslim thinkers view Islamic doctrine not merely as a set of religious rituals, but as a comprehensive intellectual and methodological framework that can be a fundamental driver of a comprehensive renaissance. Historically, Islamic civilization witnessed periods of scientific, intellectual, and cultural flourishing known as the "Islamic Renaissance," which was the source of numerous innovations and discoveries that influenced all of humanity, including the European Renaissance itself. This connection between religion and renaissance raises questions about the nature of this relationship and how Islam can contribute to building a contemporary renaissance that addresses the challenges of our time.
Keywords : Philosophy - Renaissance - Perspective - Islamic Doctrine

المقدمة

تُعدّ النهضة، بمفهومها الواسع، مرحلة تحول حضاري شامل تشهدها الأمم والشعوب، تتجلى في جوانب فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية. وقد ارتبط مفهوم النهضة في الوعي الغربي بالخروج من عصور الظلام والتوجه نحو العقلانية والعلمنة، متأثرة بتراث اليونان والرومان ومع ذلك، فإن الفكر الإسلامي يقدم منظورًا مختلفًا للنهضة، حيث لا ينفصل التقدم الحضاري عن الأصول العقدية والدينية. فالعديد من المفكرين الإسلاميين يرون أن العقيدة الإسلامية ليست مجرد مجموعة من الشعائر التعبدية، بل هي إطار فكري ومنهجي شامل يمكن أن يكون محركًا أساسيًا للنهضة الشاملة

تاريخيًا، شهدت الحضارة الإسلامية فترات ازدهار علمي وفكري وثقافي تُعرف بـ "النهضة الإسلامية"، والتي كانت منبعًا للعديد من الابتكارات والاكتشافات التي أثرت في الحضارة الإنسانية جمعاء، بما في ذلك النهضة الأوروبية نفسها هذا الارتباط بين العقيدة والنهضة يثير تساؤلات حول طبيعة هذه العلاقة، وكيف يمكن للعقيدة الإسلامية أن تسهم في بناء نهضة معاصرة تواجه تحديات العصر.

يهدف هذا البحث إلى استكشاف فلسفة النهضة من منظور العقيدة الإسلامية، من خلال تحليل الأسس الفكرية التي تقدمها العقيدة لدفع عجلة التقدم، وتحديد أبرز المفاهيم والمبادئ التي يمكن أن تشكل ركائز لنهضة حضارية إسلامية معاصرة. كما سيتناول البحث التحديات التي تواجه هذا المنظور، ويقدم رؤية حول كيفية تفعيل دور العقيدة في تحقيق النهضة المنشودة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحديد مفهوم النهضة في الفكر الإسلامي المعاصر، ومقارنته بالمفهوم الغربي للنهضة.
2. تحليل الأسس العقدية في الإسلام التي يمكن أن تكون محفزًا للنهضة الحضارية.
3. استعراض أبرز النماذج التاريخية للنهضة في الحضارة الإسلامية، وكيف ارتبطت بالعقيدة.
4. تحديد التحديات الفكرية والعملية التي تواجه تحقيق النهضة الإسلامية المعاصرة من منظور عقدي.
5. تقديم رؤية مستقبلية لدور العقيدة الإسلامية في بناء نهضة شاملة ومستدامة.

أسئلة البحث

يسعى هذا البحث للإجابة عن التساؤلات الرئيسية التالية:

1. ما هو مفهوم النهضة في الفكر الإسلامي، وما هي أبرز الفروقات بينه وبين المفهوم الغربي؟
2. كيف يمكن للعقيدة الإسلامية أن تكون منطلقًا ومحركًا للنهضة الحضارية الشاملة؟

3.ما هي أبرز المبادئ والقيم العقدية التي يمكن أن تشكل ركائز للنهضة الإسلامية المعاصرة؟

4.ما هي التحديات الرئيسية التي تواجه تفعيل دور العقيدة في تحقيق النهضة المنشودة؟

5.ما هي الآليات المقترحة لتفعيل دور العقيدة الإسلامية في بناء نهضة حضارية معاصرة؟

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

1.الأهمية العلمية: يساهم البحث في إثراء المكتبة العربية والإسلامية بدراسة معمقة حول العلاقة بين العقيدة والنهضة، ويقدم إطارًا نظريًا لتحليل هذه العلاقة.

2.الأهمية العملية: يقدم البحث رؤى وتوصيات عملية للمؤسسات الفكرية والدينية والتعليمية حول كيفية تفعيل دور العقيدة في بناء نهضة مجتمعية.

3.الأهمية الحضارية: يسلط الضوء على الدور المحوري للعقيدة الإسلامية كعنصر فاعل في التنمية الحضارية، ويصحح بعض المفاهيم الخاطئة حول تعارض الدين والتقدم.

4.الأهمية المعاصرة: يواجه البحث تحديات الواقع المعاصر للأمة الإسلامية، ويقدم منظورًا عقديًا للتعامل مع قضايا التخلف والجمود، ويفتح آفاقًا جديدة للتفكير في مستقبل النهضة.

المبحث الأول: الأسس العقدية لفلسفة النهضة في الإسلام

تُشكّل قضية النهضة محوراً فكرياً جوهرياً شغل حيزاً كبيراً من اهتمام النخب الفكرية والعلمية في العالم الإسلامي، خصوصاً مع بزوغ العصر الحديث وما حمله من تحديات حضارية وفكرية غير مسبوقة. إن هذه القضية لم تكن مجرد رد فعل على واقع التراجع الذي عانت منه الأمة، أو محاكاة للنماذج الغربية الصاعدة التي فرضت هيمنتها عالمياً، بل كانت في عمقها رحلة لاستعادة الذات وتفعيل الدور الحضاري المأمول، بالاستناد إلى المرجعية العقدية التي مثّلت دوماً حجر الزاوية في بناء الحضارة الإسلامية. إن مقاربة مفهوم النهضة من منظور العقيدة الإسلامية يقتضي تجاوز الأبعاد المادية والسياسية والاقتصادية، والغوص في الأعماق الروحية والفكرية والأخلاقية التي تمنح هذا المشروع عمقه وأصالته، وتجعله مشروعاً حضارياً متكاملاً وشاملاً.

لقد شهد التاريخ الإسلامي فترات من الازدهار الحضاري كانت فيها العقيدة الإسلامية هي القوة الدافعة والمحرك الأساسي، كما شهد فترات من الانحطاط والتراجع كان فيها الابتعاد عن جوهر هذه العقيدة أو الفهم المغلوط لها من أبرز الأسباب. ومع بزوغ فجر الحداثة الغربية وتفوقها في ميادين العلوم والتكنولوجيا والتنظيم الاجتماعي والسياسي، وجدت الأمة الإسلامية نفسها في مواجهة تحدٍ مركب: تحدي التخلف الداخلي من جهة، وتحدي الهيمنة الخارجية من جهة أخرى. هذا

الوضع المعقد دفع بالمفكرين إلى طرح أسئلة جوهرية حول سبل النهوض، وكيفية الخروج من دائرة التبعية، وآليات بناء حضارة معاصرة قادرة على استيعاب منجزات العصر دون أن تتخلى عن هويتها وخصوصيتها العقدية.

يسعى هذا البحث إلى تقديم تحليل معمق لفلسفة النهضة في الفكر الإسلامي المعاصر، مع التركيز بشكل خاص على الأبعاد العقدية التي تؤطر هذا المفهوم وتوجه مساراته. سيتناول البحث في مبحثه الأول المرتكزات العقدية التي تشكل الأساس النظري لمشروع النهضة، مبيناً كيف أن مفاهيم محورية مثل الاستخلاف والتمكين والإصلاح العقدي وبناء الإنسان تمثل اللبنات الأساسية في هذا البناء. ثم ينتقل في المبحث الثاني إلى تحليل التحديات الفكرية والواقعية التي واجهت الأمة في مسيرتها نحو النهوض، مع استعراض لأبرز معالم هذا المشروع عند رواد الفكر الإسلامي، مثل الإمام محمد عبده والمفكر مالك بن نبي، اللذين قدما رؤى متكاملة للنهضة تستند إلى فهم عميق للعقيدة الإسلامية وواقع الأمة. يهدف البحث إلى تقديم رؤية تحليلية أصيلة تبرز العمق الفكري للمشروع النهضوي الإسلامي، وتؤكد على قدرته على تجاوز إشكالية الاستلاب الثقافي، مع الالتزام الصارم بالمنهجية العلمية في التوثيق والتحليل، لضمان الأصالة والعمق، وتجنب أي شكل من أشكال الاقتباس المباشر أو الاستلال الذي قد يخل بأصالة البحث. تنبني فلسفة النهضة في التصور الإسلامي على مجموعة من الأسس العقدية الراسخة التي تمنحها خصوصيتها وتميزها عن أي تصور آخر للنهضة. هذه الأسس ليست مجرد أفكار نظرية مجردة، بل هي مبادئ عملية موجهة للسلوك، تنبع من صميم العقيدة الإسلامية وتستمد قوتها من الوحي الإلهي، وتحدد مسار الأمة نحو تحقيق غاياتها الحضارية. إن فهم هذه الأسس ضروري لإدراك العمق الفلسفي للنهضة الإسلامية وطبيعتها الشاملة التي تتكامل فيها الأبعاد الروحية والفكرية والمادية.

إن التصور الإسلامي للنهضة ينطلق من رؤية كونية متكاملة، ترى أن التغيير الخارجي في أحوال الأمة، سواء كان تقدماً أو تراجعاً، هو انعكاس لتغيير داخلي في أنفس أفرادها ومعتقداتهم. هذا المبدأ القرآني الأصيل، المستفاد من قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ"[1] ، يؤكد على أن النهضة الحقيقية تبدأ من الداخل، من إصلاح الذات وتصحيح المفاهيم العقدية والسلوكية، قبل أن تظهر آثارها في الواقع الخارجي للأمة. وبالتالي، فإن أي مشروع نهضوي لا يرتكز على هذا التغيير الداخلي هو مشروع ناقص ومبتور.

المطلب الأول

مفهوم النهضة في التصور الإسلامي (الاستخلاف والتمكين)

يختلف مفهوم النهضة في التصور الإسلامي اختلافاً جذرياً عن المفهوم الغربي الذي غالباً ما يقتصر على التقدم المادي والتطور الصناعي والعلمي، بمعزل عن الأبعاد الروحية والأخلاقية. في الإسلام، تُعد النهضة حركة شاملة لإحياء الأمة وتفعيل طاقاتها الكامنة، تستهدف الارتقاء في جميع مجالات الحياة: الفكرية، الروحية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية، وذلك كله في إطار مرجعية عقدية واضحة. إنها عملية تجديد شاملة تعيد للأمة حيويتها ودورها الريادي في الشهود الحضاري، وتجعلها قادرة على أداء رسالتها الكونية.

[1] سورة الرعد، الآية 11

1. الاستخلاف كركيزة أساسية للنهضة:

يُعد مبدأ الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض من أهم الركائز العقدية التي يقوم عليها مفهوم النهضة في الإسلام. فالإنسان ليس مجرد كائن يعيش على الأرض، بل هو خليفة الله فيها، ومهمته الأساسية هي عمارتها وإصلاحها وفق المنهج الإلهي الذي أنزله الله تعالى[2] . هذا المفهوم يمنح الوجود الإنساني غاية ومعنى ساميين، ويحمّل الإنسان مسؤولية كبرى تجاه الكون والمجتمع والبشرية جمعاء. النهضة، بهذا المعنى، هي تحقيق لمقتضيات هذا الاستخلاف، أي إقامة العدل، نشر الخير، بناء الحضارة، وتفعيل الطاقات الإنسانية في سبيل مرضاة الله تعالى، وليس لمجرد تحقيق مصالح ذاتية أو قومية ضيقة.

إن الاستخلاف ليس مجرد منصب تشريفي أو لقب يمنح للإنسان، بل هو تكليف إلهي يتطلب الفاعلية والإيجابية والعمل الدؤوب والمستمر. وهو يتضمن جوانب متعددة ومتكاملة، لا يمكن فصل بعضها عن بعض:

• الاستخلاف في العبادة والتقوى: فالعمارة الحقيقية للأرض تبدأ من عمارة النفس بالتقوى والإيمان الصادق، ومن ثم تتجلى في السلوكيات والأعمال التي تعكس هذا الإيمان، وتترجمه إلى واقع ملموس من الخير والصلاح. فالعبادة في الإسلام ليست مجرد شعائر فردية، بل هي منهج حياة شامل يؤثر في كل جوانب الوجود الإنساني.

• الاستخلاف في العلم والمعرفة: فالعلم هو أداة الإنسان الأساسية لتحقيق الاستخلاف، وبه يكتشف سنن الكون وقوانينه، ويسخرها لخدمة البشرية وتحقيق الرفاهية لها. النهضة العلمية هي جزء لا يتجزأ من النهضة الشاملة، بل هي شرط أساسي لتحقيقها، فبدون العلم لا يمكن للإنسان أن يعمر الأرض أو أن يؤدي رسالة الاستخلاف على أكمل وجه.

• الاستخلاف في العدل والحكم: فإقامة العدل بين الناس، وتطبيق الشريعة الإسلامية التي تضمن الحقوق والواجبات، وتحقيق المساواة والكرامة الإنسانية، كلها من مقتضيات الاستخلاف التي تضمن استقرار المجتمع وتقدمه وازدهاره. فالعدل هو أساس الملك، وبدونه لا يمكن لأي حضارة أن تستمر أو تزدهر.

• الاستخلاف في الأخلاق والقيم: فالإنسان المستخلف مطالب بأن يتحلى بأعلى درجات الأخلاق والقيم، وأن يكون قدوة حسنة في تعامله مع الآخرين، وفي إدارته للموارد، وفي سعيه لتحقيق الخير العام. فالأخلاق هي صمام الأمان لأي حضارة، وبدونها تتحول المنجزات المادية إلى وبال على البشرية.

2. التمكين كغاية وهدف للنهضة:

يرتبط مفهوم الاستخلاف ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التمكين. فالتمكين هو القدرة على ممارسة الاستخلاف وتحقيق أهدافه على أرض الواقع. وهو ليس تمكيناً مادياً فقط، بل هو تمكين شامل يشمل التمكين الفكري، الروحي، الاقتصادي، والسياسي.

[2] ينظر: طه عبد الرحمن، روح الحداثة: مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص45

يقول تعالى في محكم تنزيله: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا" [3] .

هذه الآية الكريمة توضح أن التمكين هو نتيجة طبيعية للإيمان الصادق والعمل الصالح، وهو يهدف إلى تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، وتوحيده في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات. وبالتالي، فإن النهضة الإسلامية لا تسعى إلى التمكين لذاته، أو للسيطرة على الآخرين، أو لتحقيق مصالح استعمارية، بل تسعى إلى التمكين من أجل إقامة منهج الله في الأرض، وتحقيق الخير للبشرية جمعاء، ونشر قيم العدل والسلام والرحمة. إن التمكين في التصور الإسلامي هو وسيلة لغاية أسمى، وهي إعمار الأرض بالحق والعدل، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

إن التمكين يتطلب أيضاً امتلاك أسباب القوة المادية والمعنوية، فبدون قوة لا يمكن للأمة أن تؤدي رسالتها أو أن تحمي نفسها من الأعداء. ولكن هذه القوة يجب أن تكون موجهة لخدمة الحق والعدل، وليست للظلم والعدوان. فالإسلام يدعو إلى إعداد القوة بكل أنواعها، كما جاء في قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" [4] . وهذا الإعداد للقوة هو جزء لا يتجزأ من مشروع النهضة الإسلامية.

المطلب الثاني

العلاقة الجدلية بين الإصلاح العقدي والنهضة الحضارية

يُجمع المفكرون الإسلاميون، على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، على أن الإصلاح العقدي يمثل حجر الزاوية في أي مشروع نهضوي حقيقي ومستدام. فالخلل الذي أصاب الأمة الإسلامية، والذي أفضى إلى تراجعها الحضاري وتخلفها عن ركب الأمم المتقدمة، لم يكن في العقيدة ذاتها، التي هي عقيدة صحيحة ومنزلة من عند الله، بل كان في فهم الأمة لها وفي كيفية استيعابها وتفعيلها في واقع الحياة[5] . إن العقيدة، عندما تُفهم فهماً صحيحاً وتُطبق تطبيقاً سليماً، تتحول إلى قوة دافعة هائلة للتقدم والازدهار، أما عندما يشوبها الخلل أو الانحراف، فإنها تصبح عاملاً من عوامل الجمود والتخلف.

1. تنقية العقيدة من الشوائب الفكرية والسلوكية:

لقد مرت العقيدة الإسلامية عبر التاريخ بمراحل مختلفة، وشابها بعض الشوائب الفكرية والسلوكية التي أثرت على فاعليتها ودورها في دفع الأمة نحو النهضة. من هذه الشوائب التي تتطلب إصلاحاً وتصحيحاً جذرياً:

• الجمود الفكري والتقليد الأعمى: الذي أدى إلى إغلاق باب الاجتهاد، والتمسك بحرفية النصوص دون استيعاب مقاصدها الكلية، مما نتج عنه عجز الفكر الإسلامي عن مواكبة التحديات المستجدة، وتقديم حلول مبتكرة لمشكلات العصر. هذا الجمود أدى إلى تراجع الإبداع والابتكار، وحوّل الفكر الإسلامي إلى مجرد ترديد لما قاله السابقون، دون إضافة أو تجديد.

[3] سورة النور، الآية 55
[4] سورة الأنفال، الآية 60
[5] ينظر: عبد المجيد النجار، دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية ، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الأول،1995، ص12

• التواكل والسلبية: الذي نشأ عن فهم خاطئ لمفهوم القضاء والقدر، حيث اعتقد البعض أن كل شيء مقدر سلفاً ولا داعي للعمل والاجتهاد، مما أدى إلى تعطيل الطاقات الإنسانية، ونشر روح اليأس والإحباط في الأمة. هذا الفهم المغلوط للعقيدة يتناقض مع جوهر الإسلام الذي يحث على العمل والأخذ بالأسباب والسعي الدؤوب.

• الخرافات والبدع: التي تسربت إلى العقيدة من ثقافات أخرى، وأدت إلى انحرافات في التصور والسلوك، وأضعفت الارتباط بالمنهج النبوي الأصيل. هذه الخرافات والبدع أدت إلى تشتيت جهود الأمة، وإبعادها عن القضايا الأساسية للنهضة، وجعلتها تنشغل بأمور لا أساس لها في الدين، مما أضعف من قدرتها على التركيز على الأولويات الحقيقية.

• التعصب المذهبي والطائفي: الذي أدى إلى تفرق الأمة وتشتت جهودها، وجعلها تنشغل بالصراعات الداخلية بدلاً من مواجهة التحديات الخارجية. هذا التعصب يتنافى مع مبدأ الوحدة الإسلامية الذي تدعو إليه العقيدة، ويضعف من قوة الأمة وقدرتها على النهوض الشامل.

إن الإصلاح العقدي يهدف إلى تنقية العقيدة من هذه الشوائب، وإعادتها إلى صفائها الأول، كما جاءت في الوحي، بعيداً عن التأويلات المغلوطة والتحريفات. وهذا يتطلب العودة إلى مصادر الفهم الأصيلة: القرآن والسنة النبوية الشريفة، وفهمها فهماً صحيحاً يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويستفيد من المناهج العلمية الحديثة في التفسير والتحليل، دون المساس بثوابت العقيدة ومحكماتها.

2. تفعيل العقيدة كقوة دافعة للعمل والإنجاز الحضاري:

العقيدة الإسلامية ليست مجرد مجموعة من المعتقدات النظرية التي يحفظها الإنسان، بل هي قوة دافعة هائلة للعمل والإنجاز، ومحرك أساسي للنهضة الحضارية. فالإيمان الحقيقي يثمر عملاً صالحاً، والعمل الصالح هو أساس النهضة الحضارية. عندما تتحول العقيدة من مجرد قناعات ذهنية إلى محرك للسلوك والإرادة، فإنها تصبح قادرة على إحداث التغيير المنشود في الفرد والمجتمع[6] .

يتجلى تفعيل العقيدة كقوة دافعة في عدة جوانب حيوية:

• بناء الإرادة القوية والعزيمة الصادقة: فالعقيدة الصحيحة تمنح الإنسان إرادة صلبة وعزيمة لا تلين، وتجعله قادراً على مواجهة التحديات والصعاب، وتحمل المسؤوليات الجسام. إن الإيمان يزرع في النفس الثقة بالله والتوكل عليه، مما يدفع الإنسان إلى العمل الجاد والمثابرة دون يأس أو قنوط، ويمنحه القدرة على تجاوز العقبات.

• تحفيز العمل والإنتاج والإتقان: فالمؤمن الحق لا يرضى بالكسل والخمول، بل يسعى إلى العمل والإنتاج والإتقان في كل ما يقوم به، إيماناً منه بأن العمل الصالح هو جزء من عبادته لله تعالى، وأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه. هذا الدافع الإيماني يؤدي إلى رفع مستوى الجودة والإبداع في جميع مجالات الحياة، ويحفز على التميز.

[6] ينظر: محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمود أبو رية، دار المعارف، القاهرة، ص 156.

• غرس القيم الأخلاقية السامية: فالعقيدة الإسلامية تزود الإنسان بمنظومة قيمية وأخلاقية عالية، مثل العدل، الإحسان، الأمانة، الصدق، التعاون، التكافل الاجتماعي، وهي قيم ضرورية لبناء مجتمع قوي ومزدهر، يسوده الأمن والاستقرار، وتتحقق فيه السعادة والرفاهية للجميع. هذه القيم هي بمثابة الضوابط التي تضمن أن تكون النهضة أخلاقية وإنسانية، وليست مجرد تقدم مادي أجوف، بل نهضة متوازنة.

• تحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة: فالعقيدة الإسلامية تعلم الإنسان أن الحياة الدنيا هي مزرعة للآخرة، وأن عليه أن يعمل للدنيا كأنه يعيش أبداً، ويعمل للآخرة كأنه يموت غداً. هذا التوازن يدفع الإنسان إلى السعي لتحقيق التقدم المادي والعلمي، دون أن ينسى البعد الروحي والأخلاقي، مما يضمن نهضة متكاملة وشاملة، لا تطغى فيها جانب على آخر.

المطلب الثالث

شروط النهضة النفسية والفكرية (بناء الإنسان)

تؤكد فلسفة النهضة الإسلامية على أن الإنسان هو محور أي عملية نهضوية، وهو صانع الحضارة ومحركها الأساسي. فالنهضة لا يمكن أن تتحقق بمجرد امتلاك الموارد المادية أو التكنولوجيا الحديثة، بل هي تبدأ من بناء الإنسان نفسه، وتنمية قدراته النفسية والفكرية والروحية، وتحريره من القيود التي تكبل طاقاته الإبداعية[7] . إن الإنسان، بصفته خليفة الله في الأرض، هو الأداة الفاعلة في تحقيق الاستخلاف والعمارة، وبالتالي فإن الاهتمام ببنائه وتنميته هو الشرط الأول والأهم لأي نهضة حقيقية.

1. بناء الإنسان كشرط لازم للنهضة:

إن التركيز على بناء الإنسان يعني الاهتمام بتكوينه الشامل والمتكامل، بحيث يكون قادراً على الإبداع والابتكار، ومتحملاً للمسؤولية، ومتمسكاً بقيمه ومبادئه، ومدركاً لدوره في الحياة. وهذا يتطلب جهوداً متواصلة في عدة مجالات:

• التكوين العقلي والفكري: تنمية القدرات العقلية للإنسان، وتشجيعه على التفكير النقدي، والبحث العلمي، والاجتهاد المستنير، وتحريره من الجمود الفكري والتقليد الأعمى. هذا التكوين يهدف إلى بناء عقل قادر على فهم الواقع وتحليله، واستنباط الحلول للمشكلات المعاصرة، والمساهمة في إنتاج المعرفة.

• التزكية الروحية والأخلاقية: غرس القيم الأخلاقية الإسلامية في نفس الإنسان، وتزكية روحه بالعبادة والتقوى، وتنمية ضميره الحي، بحيث يصبح إنساناً سوياً، متوازناً، قادراً على التعامل مع الآخرين بإحسان وعدل، وعلى تحمل المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية.

• التنمية المهارية والعملية: تزويد الإنسان بالمهارات والمعارف اللازمة التي تمكنه من الإنتاج والإبداع في مجالات الحياة المختلفة، وتأهيله لسوق العمل، والمساهمة بفاعلية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. هذا يشمل التعليم التقني والمهني، وتنمية مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات.

[7] ينظر: مالك بن نبي شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 74.

• التحرر من القابلية للاستعمار: وهو مفهوم محوري عند مالك بن نبي، حيث يرى أن التحرر من الاستعمار الخارجي لا يمكن أن يتم إلا بالتحرر من القابلية الداخلية للاستعمار، والتي تتمثل في الضعف الفكري والنفسي والأخلاقي[8] . بناء الإنسان القوي الواعي هو السبيل الوحيد للتخلص من هذه القابلية، وتحقيق الاستقلال الحقيقي للأمة.

2. دور الاجتهاد والتجديد في إرساء دعائم النهضة العقدية:

لا يمكن الحديث عن نهضة حقيقية في الفكر الإسلامي دون الإشارة إلى الدور المحوري للاجتهاد والتجديد، وهما مفهومان متلازمان يمثلان صمام الأمان ضد الجمود الفكري والتقليد الأعمى الذي أدى إلى تراجع الأمة في فترات تاريخية سابقة. فالاجتهاد هو بذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية، بينما التجديد هو إحياء ما اندرس من معالم الدين، وتصحيح ما انحرف من مفاهيمه، وتكييفه مع مقتضيات العصر دون المساس بثوابته[9] . إن العقيدة الإسلامية، بطبيعتها، عقيدة حيوية ومتجددة، لا تقبل الانغلاق أو التحجر، بل تدعو إلى التفكير والتدبر والتأمل في آيات الله الكونية والشرعية.

• الاجتهاد كآلية لتفعيل العقيدة: يُعد الاجتهاد من أهم الآليات التي تضمن حيوية العقيدة الإسلامية وقدرتها على التفاعل مع مستجدات الحياة. فالعقيدة ليست مجرد نصوص جامدة، بل هي روح ومنهج حياة، تتطلب فهماً عميقاً وتطبيقاً واعياً في كل زمان ومكان. وإغلاق باب الاجتهاد، كما حدث في فترات معينة من التاريخ الإسلامي، أدى إلى الجمود الفكري، والتخلف الحضاري، والانفصال عن الواقع[10] . إن فتح باب الاجتهاد، وفق ضوابط وشروط علمية صارمة، يضمن قدرة العقيدة على تقديم حلول لمشكلات العصر، وتلبية احتياجات الناس المتجددة، وتفعيل دورها كقوة دافعة للنهضة. وهذا يتطلب إعداد جيل من العلماء والمفكرين القادرين على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الفهم العميق للنصوص الشرعية، والإدراك الواعي لواقع الأمة وتحدياتها.

• التجديد كضرورة للنهضة الشاملة: التجديد في الفكر الإسلامي ليس بدعة، بل هو سنة نبوية، كما جاء في الحديث الشريف: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[11] . وهذا التجديد لا يعني تغيير أصول الدين وثوابته، بل يعني إحياء المفاهيم العقدية الأصيلة، وتكييف الفهم الديني مع مستجدات العصر، ومواجهة التحديات الفكرية المعاصرة، وإصلاح المؤسسات الدينية والتعليمية[12] . إن التجديد، بهذا المعنى، هو عملية مستمرة ومتكاملة، تشمل جميع جوانب الحياة، وتستهدف إعادة الأمة إلى مكانتها الريادية في الشهود الحضاري، وتفعيل دورها كقوة خير وصلاح في العالم.

المبحث الثاني: تحديات النهضة ومعالمها في الفكر الإسلامي المعاصر

[8] ينظر: مالك بن نبي المرجع السابق، ص 102.
[9] ينظر: محمد عمارة التجديد في الفكر الإسلامي، دار الشروق القاهرة، 1993، ص 88.
[10] ينظر: طه عبد الرحمن، روح الحداثة: مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص120
[11] سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث 4291.
[12] ينظر: محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، دار الشروق القاهرة، 1990 ، ص 200.

تُعد النهضة الإسلامية مشروعاً حضارياً طموحاً يواجه تحديات داخلية وخارجية معقدة، تتطلب فهماً عميقاً ورؤى استراتيجية لتجاوزها. وقد قدم رواد الفكر الإسلامي المعاصر إسهامات جليلة في تشخيص هذه التحديات ووضع معالم للنهضة، مستلهمين من العقيدة الإسلامية ومستفيدين من تجاربهم في مواجهة الواقع.

المطلب الأول

مقومات النهضة عند رواد الفكر الإسلامي (محمد عبده ومالك بن نبي نموذجاً)

قدم رواد الفكر الإسلامي المعاصر رؤى عميقة ومتباينة أحياناً حول مقومات النهضة، مستلهمين من العقيدة الإسلامية ومستفيدين من تجاربهم في مواجهة التحديات. ومن أبرز هؤلاء الإمام محمد عبده والمفكر مالك بن نبي، اللذان يمثلان تيارين فكريين مهمين في تاريخ النهضة الإسلامية.

1. الإمام محمد عبده والإصلاح الديني والتعليمي:

يُعد الإمام محمد عبده (1849–1905م) من أبرز دعاة الإصلاح والنهضة في العصر الحديث، ومن رواد المدرسة الإصلاحية التي سعت إلى تجديد الفكر الإسلامي. وقد ركز مشروعه النهضوي على جانبين أساسيين، رأى فيهما مفتاح النهوض بالأمة:

- الإصلاح الديني: دعا عبده إلى تنقية الدين من البدع والخرافات التي علقت به عبر العصور، والعودة إلى الفهم الصحيح للإسلام، المستند إلى القرآن والسنة، وفتح باب الاجتهاد لمواجهة قضايا العصر المستجدة. وقد رأى أن الجمود الفكري والتقليد الأعمى هما السببان الرئيسيان لتخلف الأمة[13] . كان يرى أن الإسلام دين عقل وعلم، وأن التوفيق بين الدين والعلم الحديث ممكن وضروري. وقد أكد على أهمية العقل في فهم النصوص الدينية، ورفض التفسيرات الحرفية التي تتعارض مع المنطق والعلم، مما جعله رائداً في مجال التجديد العقلي في الإسلام. كما دعا إلى تحرير العقل من أسر التقليد الأعمى، والعودة إلى ينابيع الإسلام الصافية، بعيداً عن الشوائب التي علقت به عبر القرون. هذا الإصلاح الديني لم يكن يهدف إلى تغيير الدين، بل إلى إعادته إلى جوهره النقي، ليصبح قوة دافعة للتقدم لا عائقاً أمامه.

- الإصلاح التعليمي: أولى عبده اهتماماً كبيراً بتطوير التعليم، ودعا إلى تحديث المناهج التعليمية في الأزهر وغيره من المؤسسات التعليمية، وربط التعليم الديني بالعلوم الحديثة، بهدف تخريج أجيال قادرة على فهم دينها فهماً عميقاً، ومواكبة تطورات العصر، والمساهمة في بناء النهضة. وقد رأى أن التعليم هو مفتاح النهضة الحقيقية، وأنه لا يمكن لأمة أن تنهض دون تعليم قوي ومتطور[14] . وقد سعى إلى إدخال العلوم الحديثة في المناهج الأزهرية، وتطوير أساليب التدريس، وتشجيع الطلاب على التفكير النقدي والبحث العلمي، مما كان له أثر كبير في تحديث التعليم في مصر والعالم الإسلامي. كما دعا إلى نشر التعليم بين جميع فئات المجتمع، بما في ذلك النساء، إيماناً منه بأن النهضة الشاملة لا يمكن أن تتحقق إلا بمشاركة الجميع.

[13] ينظر: محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمود أبو رية، دار المعارف، القاهرة، ص 180.
[14] ينظر: محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1993، ج 3,ص500

2. مالك بن نبي وفلسفة الحضارة:

قدم المفكر الجزائري مالك بن نبي (1905–1973م) رؤية فلسفية عميقة للنهضة والحضارة، ترتكز على تحليل سنني لتاريخ الحضارات، وكيفية نشأتها وتطورها وانهيارها. وقد لخص بن نبي شروط النهضة في معادلته الشهيرة التي أصبحت مرجعاً أساسياً في الفكر النهضوي الإسلامي: (إنسان + تراب + وقت) × فكرة دينية = حضارة[15] . هذه المعادلة توضح أن النهضة ليست مجرد تراكم للموارد، بل هي تفاعل ديناميكي بين عناصر ثلاثة تحت تأثير محفز روحي.

• الإنسان: يرى بن نبي أن الإنسان هو العنصر الفاعل والمحوري في صناعة الحضارة، وأن بناء الإنسان الواعي والمسؤول، الذي يمتلك الإرادة والقدرة على التغيير، هو الشرط الأول للنهضة. وهذا يتطلب تحرير الإنسان من القابلية للاستعمار، وتنمية قدراته الفكرية والأخلاقية والروحية، وغرس روح الإبداع والابتكار فيه. فالإنسان الذي لا يمتلك فكرة أو إرادة لا يمكن أن يصنع حضارة[16] . وقد أولى بن نبي اهتماماً خاصاً بمفهوم "القابلية للاستعمار"، حيث رأى أن الاستعمار الخارجي لا يمكن أن يستمر إلا بوجود قابلية داخلية للاستعمار في نفس المستعمَر، تتمثل في الضعف الفكري والأخلاقي والاجتماعي. وبالتالي، فإن التحرر من الاستعمار يبدأ من التحرر من هذه القابلية الداخلية، وبناء الإنسان القوي الواعي القادر على تحمل المسؤولية.

• التراب: يقصد به الموارد المادية والطبيعية، والتي يجب استغلالها الاستغلال الأمثل لخدمة الإنسان والمجتمع. فالنهضة لا يمكن أن تقوم على الفقر والعوز ونقص الموارد، بل تحتاج إلى قاعدة مادية قوية. ولكن بن نبي يؤكد أن التراب وحده لا يكفي، بل يجب أن يتفاعل مع الإنسان والوقت[17] . وقد دعا إلى التنمية الشاملة للموارد، والاستفادة من التقنيات الحديثة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، لضمان استقلال الأمة وكرامتها.

• الوقت: يؤكد بن نبي على أهمية تنظيم الوقت واستثماره في العمل والإنتاج والإنجاز. فالوقت هو البعد الرابع لأي مشروع حضاري، وإهداره يعني إهدار فرص النهضة. إدارة الوقت بفاعلية، والتخطيط للمستقبل، والاستفادة من كل لحظة، هي من شروط النهضة الأساسية[18] . وقد رأى أن المسلم المعاصر يعاني من "تضخم الماضي" و"انكماش المستقبل"، مما يجعله يعيش في حالة من الجمود وعدم القدرة على التخطيط للمستقبل، ودعا إلى إعادة التوازن بين الماضي والحاضر والمستقبل.

• الفكرة الدينية: يرى بن نبي أن الفكرة الدينية هي المحفز الأساسي الذي يربط بين هذه العناصر الثلاثة (الإنسان والتراب والوقت) ويمنحها الفاعلية والاتجاه. فالعقيدة الصحيحة هي التي توحد الأمة، وتوجه طاقاتها نحو البناء والإعمار، وتمنحها رؤية واضحة لمستقبلها، وتزرع فيها الأمل والعزيمة. بدون الفكرة الدينية، تتحول هذه العناصر إلى مجرد كومة من الأشياء المتفرقة، لا يمكن أن تصنع حضارة[19] . وقد أكد على أن الفكرة الدينية يجب أن تكون حية وفاعلة، لا مجرد طقوس وشعائر، وأنها يجب أن تتحول إلى طاقة اجتماعية تدفع الأمة نحو التقدم والازدهار.

---

[15] ينظر: مالك بن نبي شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 90

[16] ينظر: مالك بن نبي مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1971، ص 110

[17] ينظر: مالك بن نبي شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 105.

[18] المرجع نفسه، ص 115

[19] ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر، دمشق، 1971، ص 80.

إن رؤية مالك بن نبي تؤكد على أن النهضة ليست مجرد استيراد للمنتجات الحضارية من الخارج، بل هي عملية داخلية تبدأ من تغيير ما بالأنفس، وتفعيل الطاقات الكامنة في الأمة، تحت تأثير فكرة دينية حية وفاعلة.

المطلب الثاني

آفاق النهضة الإسلامية المنشودة وسبل تحقيقها

تتطلع الأمة الإسلامية إلى نهضة شاملة تعيد لها مكانتها الحضارية، وتساهم في بناء عالم أكثر عدلاً وإنسانية. هذه النهضة المنشودة لها آفاق واسعة، وتتطلب سبل عمل واضحة ومحددة، تعتمد على تضافر الجهود وتكامل الرؤى.

1. آفاق النهضة الإسلامية:

تتمثل آفاق النهضة الإسلامية في عدة جوانب متكاملة، تسعى إلى تحقيق التوازن بين الأبعاد الروحية والمادية، وبين الأصالة والمعاصرة:

• استعادة الدور الحضاري الريادي: أن تكون الأمة الإسلامية فاعلاً مؤثراً في الساحة العالمية، تساهم في حل المشكلات الإنسانية المعاصرة، وتقدم نموذجاً حضارياً متوازناً يجمع بين الروح والمادة، وبين العلم والإيمان، وبين الفرد والمجتمع. هذا الدور يتطلب القدرة على التأثير في مسار الحضارة الإنسانية وتقديم الإضافة النوعية لها[20] .

• التكامل المعرفي والمنهجي: الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية، وإزالة الفصل المصطنع بينهما، بحيث تكون المعرفة كلها في خدمة الإنسان وعمارة الأرض، وتحقيق مقاصد الشريعة. هذا التكامل يؤدي إلى إنتاج معرفة شاملة ومتوازنة، قادرة على فهم الكون والإنسان والحياة فهماً عميقاً [21] .

• تحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة: إقامة مجتمع تسوده العدالة والمساواة، وتكافؤ الفرص، وتوزيع الثروات بشكل عادل، بما يضمن الكرامة الإنسانية للجميع، ويقضي على الفقر والجهل والمرض. العدالة الاجتماعية هي أساس الاستقرار والتقدم، وبدونها لا يمكن لأي نهضة أن تستمر.

• الريادة العلمية والتقنية: أن تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها كمركز للإشعاع العلمي والتقني، وتساهم في التقدم البشري من خلال الابتكار والإبداع في جميع مجالات العلوم والتكنولوجيا. هذا يتطلب الاستثمار في البحث العلمي، وتطوير التعليم، وتشجيع المواهب الشابة.

• الوحدة والتعاون الإسلامي: تعزيز التضامن والتعاون بين الدول والشعوب الإسلامية، لمواجهة التحديات المشتركة، وتحقيق المصالح العليا للأمة، وتوحيد الجهود نحو تحقيق النهضة المنشودة. الوحدة هي قوة، والتفرق ضعف.

---

[20] ينظر: راشد الغنوشي، النهضة والتحديات المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص .150

[21] ينظر: طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين التجديد والتغريب المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا، 2000، ص180

2. سبل تحقيق النهضة:

يتطلب تحقيق النهضة الإسلامية المنشودة تضافر الجهود على مستويات متعددة، وتخطيطاً استراتيجياً طويل المدى، يعتمد على رؤية واضحة وأهداف محددة:

• تجديد الفكر الديني والاجتهاد المستنير: من خلال الاجتهاد المستنير الذي يواكب تحديات العصر، ويقدم حلولاً إسلامية أصيلة للمشكلات المعاصرة، ويفتح آفاقاً جديدة للفهم والتطبيق. هذا التجديد يجب أن يكون مبنياً على فهم عميق للقرآن والسنة، ومقاصد الشريعة، وواقع الأمة[22] .

• الإصلاح التعليمي والتربوي الشامل: بناء نظام تعليمي يغرس القيم الإسلامية، وينمي التفكير النقدي والإبداعي، ويؤهل الأجيال الجديدة للتعامل مع متطلبات العصر، والمساهمة بفاعلية في بناء النهضة. هذا الإصلاح يجب أن يشمل جميع مراحل التعليم، من رياض الأطفال إلى التعليم الجامعي.

• التنمية الاقتصادية المستدامة والشاملة: تحقيق الاكتفاء الذاتي، وتطوير الصناعات والزراعة، والاستثمار في البحث العلمي والتطوير التقني، وتوفير فرص العمل للشباب، وتحقيق العدالة في توزيع الثروات. التنمية الاقتصادية هي الركيزة المادية للنهضة.

• بناء المؤسسات المدنية الفاعلة: تعزيز دور المجتمع المدني، وتشجيع المبادرات الشبابية، وتفعيل دور المرأة في المجتمع، وبناء مؤسسات قوية وشفافة تساهم في تحقيق التنمية والتقدم.

• الوعي الإعلامي والثقافي الرشيد: بناء إعلام وثقافة إسلامية واعية، قادرة على مواجهة الغزو الثقافي، وتقديم الصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين، وتعزيز القيم الإيجابية في المجتمع. الإعلام والثقافة هما أداتان قويتان لتشكيل الوعي العام وتوجيه الرأي العام.

المطلب الثالث

تحديات النهضة الإسلامية المعاصرة وسبل تجاوزها

على الرغم من الرؤى الفكرية العميقة التي قدمها رواد النهضة، فإن مسيرة النهضة الإسلامية لا تزال تواجه تحديات جمة في العصر الحديث، بعضها داخلي يتعلق ببنية المجتمعات الإسلامية، وبعضها خارجي يفرضه واقع النظام العالمي الراهن. إن إدراك هذه التحديات وتحليلها بعمق هو الخطوة الأولى نحو وضع استراتيجيات فعالة لتجاوزها وتحقيق النهضة المنشودة.

1. التحديات الداخلية:

[22] ينظر: يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مكتبة وهبة، القاهرة، 1997، ص 30.

تتمثل التحديات الداخلية التي تعيق النهضة الإسلامية في مجموعة من العوامل التي تنبع من داخل المجتمعات الإسلامية نفسها، وتؤثر على قدرتها على التقدم والازدهار:

• الاستبداد السياسي وغياب الحريات: يُعد الاستبداد السياسي من أكبر المعوقات أمام النهضة، فهو يقتل روح الإبداع والاجتهاد، ويقمع الحريات الفكرية والسياسية، ويحول دون مشاركة الشعوب في بناء مستقبلها. فالنهضة الحقيقية لا يمكن أن تقوم في ظل أنظمة قمعية لا تحترم حقوق الإنسان ولا تتيح له فرصة التعبير عن رأيه والمساهمة في الشأن العام [23] .

• الفساد الإداري والمالي: ينتشر الفساد في كثير من المجتمعات الإسلامية، مما يؤدي إلى هدر الموارد، وتراجع التنمية، وتآكل الثقة بين الحاكم والمحكوم. الفساد يعيق أي مشروع نهضوي، لأنه يحول دون استغلال الطاقات والموارد بشكل فعال، ويخلق بيئة غير صحية للعمل والإنتاج [24] .

• التخلف العلمي والتقني: على الرغم من بعض الجهود المبذولة، لا تزال المجتمعات الإسلامية تعاني من فجوة كبيرة في مجالات البحث العلمي والتطوير التقني مقارنة بالدول المتقدمة. هذا التخلف يؤثر على القدرة التنافسية للأمة، ويجعلها مستهلكة للتكنولوجيا بدلاً من أن تكون منتجة لها [25] .

• الفرقة والتشرذم المذهبي والطائفي: لا تزال الصراعات المذهبية والطائفية تمزق أوصال الأمة، وتستنزف طاقاتها، وتحول دون توحيد جهودها نحو تحقيق الأهداف المشتركة. هذه الفرقة تضعف من قوة الأمة، وتجعلها عرضة للتدخلات الخارجية، وتعيق أي مشروع نهضوي شامل[26] .

• ضعف دور المؤسسات المدنية والمجتمع الأهلي: لا تزال المؤسسات المدنية والمجتمع الأهلي في كثير من الدول الإسلامية ضعيفة، ولا تستطيع أن تؤدي دورها بفاعلية في الرقابة على السلطة، وتنمية المجتمع، وتعزيز المشاركة الشعبية. هذا الضعف يؤثر على قدرة المجتمع على التعبير عن احتياجاته، والمساهمة في صنع القرار، وتحقيق التنمية الشاملة.

2. التحديات الخارجية:

بالإضافة إلى التحديات الداخلية، تواجه النهضة الإسلامية تحديات خارجية تفرضها طبيعة النظام العالمي الراهن، ومصالح القوى الكبرى:

• الهيمنة الغربية والاستعمار الجديد: لا تزال القوى الغربية تسعى إلى الحفاظ على هيمنتها على العالم الإسلامي، من خلال آليات مختلفة، مثل السيطرة الاقتصادية، والتدخل السياسي، ونشر الثقافة الغربية. هذا الاستعمار الجديد يعيق استقلال الأمة، ويحد من قدرتها على اتخاذ قراراتها بنفسها، ويفرض عليها نماذج تنموية لا تتناسب مع خصوصيتها[27] .

[23] ينظر: عبد الوهاب المسيري، الفلسفة والنهضة، دار الشروق القاهرة 2001، ص 280.
[24] ينظر: محمد عمارة، التجديد في الفكر الإسلامي، دار الشروق القاهرة، 1993، ص 150.
[25] ينظر: يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مكتبة وهبة، القاهرة، 1997، ص 250.
[26] ينظر: راشد الغنوشي ، النهضة والتحديات المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص .200
[27] ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1801971

• العولمة الثقافية وتحدي الهوية: تفرض العولمة الثقافية تحدياً كبيراً على الهوية الإسلامية، من خلال نشر قيم وأنماط حياة تتعارض مع مبادئ الإسلام. هذا التحدي يتطلب من الأمة أن تكون قادرة على التفاعل الإيجابي مع العولمة، والاستفادة من إيجابياتها، مع الحفاظ على خصوصيتها الثقافية والعقدية [28] .

• الصراعات الإقليمية والدولية: تتأثر المجتمعات الإسلامية بالصراعات الإقليمية والدولية، والتي غالباً ما تكون مدفوعة بمصالح القوى الكبرى، وتؤدي إلى زعزعة الاستقرار، وتدمير البنى التحتية، وتشريد الملايين من البشر. هذه الصراعات تعيق أي جهود للنهضة، وتستنزف موارد الأمة وطاقاتها.

• الإسلاموفوبيا والتشويه الإعلامي: تتعرض صورة الإسلام والمسلمين لحملات تشويه ممنهجة في وسائل الإعلام الغربية، مما يؤدي إلى انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا، وتزايد الكراهية ضد المسلمين. هذا التحدي يتطلب من الأمة أن تكون قادرة على تقديم الصورة الصحيحة للإسلام، ومواجهة حملات التشويه، وتعزيز الحوار بين الحضارات[29].

3. سبل تجاوز التحديات:

يتطلب تجاوز هذه التحديات وضع استراتيجية شاملة ومتكاملة، تعتمد على تضافر الجهود على المستويات الفردية والمجتمعية والدولية:

• تعزيز الوحدة الإسلامية والتضامن: من خلال تجاوز الخلافات المذهبية والطائفية، والتركيز على القواسم المشتركة، وتوحيد الجهود نحو تحقيق الأهداف العليا للأمة. الوحدة هي مفتاح القوة والنهضة.

• إصلاح الأنظمة السياسية والاقتصادية: من خلال بناء أنظمة سياسية ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان، وتتيح المشاركة الشعبية، وتحارب الفساد، وتعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية. كما يتطلب إصلاح الأنظمة الاقتصادية لتحقيق التنمية المستدامة، وتوزيع الثروات بشكل عادل، وتقليل التبعية الاقتصادية للخارج.

• الاستثمار في العلم والبحث العلمي: من خلال زيادة الإنفاق على البحث العلمي والتطوير التقني، وتشجيع الابتكار والإبداع، وتوفير البيئة المناسبة للعلماء والباحثين. العلم هو أساس التقدم والنهضة في العصر الحديث.

• تنمية الوعي الثقافي والحضاري: من خلال تعزيز الثقة بالهوية الإسلامية، والانفتاح الواعي على الثقافات الأخرى، وتقديم نموذج حضاري متوازن للعالم. الوعي الثقافي هو صمام الأمان ضد التغريب والذوبان في الآخر.

• تعزيز الحوار بين الحضارات: من خلال مد جسور التواصل مع الحضارات الأخرى، وتبادل الخبرات والمعارف، وتقديم الصورة الصحيحة للإسلام، ومواجهة حملات التشويه. الحوار هو السبيل إلى بناء عالم أكثر سلاماً وتفاهماً.

إن تجاوز هذه التحديات ليس بالأمر السهل، ولكنه ليس مستحيلاً. فهو يتطلب إرادة قوية، وعزيمة صادقة، وعملاً دؤوباً ومستمراً، مستلهماً من قيم العقيدة الإسلامية، ومستفيداً من تجارب الأمم الأخرى، ومدركاً لواقع العصر وتحدياته[30].

[28] ينظر: طه عبد الرحمن، روح الحداثة: مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص220
[29] ينظر: عبد الوهاب المسيري، الفلسفة والنهضة، دار الشروق القاهرة، 2001، ص 300

المطلب الرابع

دور الاجتهاد والتجديد في إرساء دعائم النهضة العقدية

لا يمكن الحديث عن نهضة حقيقية في الفكر الإسلامي دون الإشارة إلى الدور المحوري للاجتهاد والتجديد، وهما مفهومان متلازمان يمثلان صمام الأمان ضد الجمود الفكري والتقليد الأعمى الذي أدى إلى تراجع الأمة في فترات تاريخية سابقة. فالاجتهاد هو بذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية، بينما التجديد هو إحياء ما اندرس من معالم الدين، وتصحيح ما انحرف من مفاهيمه، وتكييفه مع مقتضيات العصر دون المساس بثوابته[31] . إن العقيدة الإسلامية، بطبيعتها، عقيدة حيوية ومتجددة، لا تقبل الانغلاق أو التحجر، بل تدعو إلى التفكير والتدبر والتأمل في آيات الله الكونية والشرعية.

1. الاجتهاد كآلية لتفعيل العقيدة:

يُعد الاجتهاد من أهم الآليات التي تضمن حيوية العقيدة الإسلامية وقدرتها على التفاعل مع مستجدات الحياة. فالعقيدة ليست مجرد نصوص جامدة، بل هي روح ومنهج حياة، تتطلب فهماً عميقاً وتطبيقاً واعياً في كل زمان ومكان. وإغلاق باب الاجتهاد، كما حدث في فترات معينة من التاريخ الإسلامي، أدى إلى:

• الجمود الفكري: حيث توقف العقل المسلم عن التفكير والإبداع، واكتفى بترديد ما قاله السابقون، مما أدى إلى تراكم المشكلات دون إيجاد حلول لها.

• التخلف الحضاري: فعدم قدرة الفكر الإسلامي على مواكبة التطورات العلمية والتقنية، وتقديم رؤى جديدة في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع، أدى إلى تراجع الأمة عن ركب الحضارات الأخرى.

• الانفصال عن الواقع: حيث أصبحت الأحكام الفقهية بعيدة عن واقع الناس ومستجدات حياتهم، مما أدى إلى شعور بالانفصال بين الدين والحياة، وضعف تأثير العقيدة في توجيه السلوك العام.

إن فتح باب الاجتهاد، وفق ضوابط وشروط علمية صارمة، يضمن قدرة العقيدة على تقديم حلول لمشكلات العصر، وتلبية احتياجات الناس المتجددة، وتفعيل دورها كقوة دافعة للنهضة. وهذا يتطلب إعداد جيل من العلماء والمفكرين القادرين على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الفهم العميق للنصوص الشرعية، والإدراك الواعي لواقع الأمة وتحدياتها [32] .

2. التجديد كضرورة للنهضة الشاملة:

التجديد في الفكر الإسلامي ليس بدعة، بل هو سنة نبوية، كما جاء في الحديث الشريف: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[33] . وهذا التجديد لا يعني تغيير أصول الدين وثوابته، بل يعني:

---

[30] ينظر: محمد عمارة التجديد في الفكر الإسلامي، دار الشروق القاهرة، 1993، ص 200.
[31] ينظر: يوسف القرضاوي الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مكتبة وهبة القاهرة 1997، ص 30
[32] ينظر: محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، دار الشروق القاهرة، 1990، ص 200.
[33] ينظر: سنن أبي داود كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث 4291.

• إحياء المفاهيم العقدية الأصيلة: التي قد تكون غابت أو شوهت بفعل عوامل تاريخية أو ثقافية، وإعادتها إلى مكانتها الصحيحة في وعي الأمة.

• تكييف الفهم الديني مع مستجدات العصر: بحيث لا يصبح الدين عائقاً أمام التقدم، بل محفزاً له، وقادراً على تقديم رؤى جديدة في مجالات العلوم والتكنولوجيا والفنون.

• مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة: التي تفرضها العولمة، وتيارات الإلحاد، والتشكيك في الدين، وتقديم ردود علمية ومنطقية عليها، تعزز من ثقة المسلم بدينه.

• إصلاح المؤسسات الدينية والتعليمية: بحيث تصبح قادرة على أداء دورها في نشر الوعي الديني الصحيح، وتخريج أجيال قادرة على قيادة النهضة.

إن التجديد، بهذا المعنى، هو عملية مستمرة ومتكاملة، تشمل جميع جوانب الحياة، وتستهدف إعادة الأمة إلى مكانتها الريادية في الشهود الحضاري، وتفعيل دورها كقوة خير وصلاح في العالم. وهو يتطلب شجاعة فكرية، ووعياً عميقاً بواقع الأمة، وإيماناً راسخاً بقدرة العقيدة الإسلامية على قيادة البشرية نحو مستقبل أفضل[34].

الخاتمة

تُبين هذه الدراسة أن مفهوم الإحياء في الرؤية الإسلامية للعالم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيمان، إذ يُعدّ الإيمان بالله تعالى أساسًا لبناء أفراد صالحين، ومجتمعات متوازنة، وحضارات متقدمة. ولا يقتصر الإحياء الإسلامي على التقدم المادي أو العلمي فحسب، بل يشمل الابتكار الإنساني على مستويات الإيمان والأخلاق والحكمة، فضلًا عن تحقيق التوازن بين الاحتياجات الروحية والمادية. وتُظهر الدراسة أن العقيدة الإسلامية تُقدّم إطارًا فكريًا شاملًا للإحياء، قائمًا على التوحيد، والمسؤولية، والتنمية، والعدل، وهي مبادئ تُسهم في بناء حضارة إنسانية راسخة في القيم والأخلاق والمعرفة. علاوة على ذلك، تكشف الدراسة أن العلاقة بين الإسلام والإحياء ليست متناقضة، بل مُتكاملة. فالإسلام يدعو إلى المعرفة، والعمل، والابتكار، وتنمية الأرض، مُؤكدًا على دور الإنسانية في تحقيق التقدم الحضاري. يشير هذا أيضًا إلى أن بناء خطة إحياء إسلامي معاصر يتطلب فهمًا عميقًا لأهداف الشريعة الإسلامية، وإدراكًا واضحًا لتغيرات العصر، وتوازنًا بين الثوابت والمتغيرات.

لقد أظهر هذا البحث أن فلسفة النهضة من منظور العقيدة الإسلامية ليست مجرد ترف فكري أو حلم بعيد المنال، بل هي ضرورة وجودية للأمة، وواجب شرعي يمليه عليها دينها. إنها دعوة إلى استعادة الذات، وتفعيل الطاقات الكامنة، والانطلاق نحو بناء حضارة إسلامية معاصرة، تستلهم من قيمها العقدية الأصيلة، وتتفاعل بإيجابية مع منجزات الحضارة الإنسانية، وتقدم للعالم نموذجاً فريداً يجمع بين التقدم المادي والسمو الروحي. فالنهضة الحقيقية هي التي تبدأ من الإنسان، وتتجه نحو عمارة الأرض، وتستمد قوتها من الإيمان الراسخ والعقيدة الصافية.

[34] ينظر: طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين التجديد والتغريب المعهد العالمي للفكر الإسلامي. فرجينيا,ص250

إن التحديات التي تواجه الأمة اليوم، سواء كانت داخلية أو خارجية، تتطلب وعياً عميقاً بفلسفة النهضة، وجهوداً متواصلة في الإصلاح العقدي والفكري والتربوي والاقتصادي والاجتماعي. فالعقيدة الإسلامية، بما تحمله من قيم الاستخلاف والتمكين، وبما تدعو إليه من عمل وإتقان وعدل وإحسان، قادرة على أن تكون المحرك الأساسي لهذه النهضة، وأن توجه مسيرتها نحو تحقيق الخير والعدل والكرامة للإنسان في كل زمان ومكان. إنها دعوة إلى العمل الجاد والمثابرة، وإلى الأمل والتفاؤل، وإلى الثقة بقدرة الأمة على النهوض والعودة إلى مكانتها الريادية في قيادة البشرية نحو مستقبل أفضل.

النتائج

توصلت هذه الدراسة إلى عدة استنتاجات مهمة، أهمها ما يلي:

1. يقوم مفهوم الإحياء الإسلامي على أساس عقائدي شامل يدمج الإيمان والعمل والمعرفة.
2. يمثل الفكر الإسلامي قوة دافعة للتقدم الحضاري لأنه يُلهم الابتكار والجهد والإصلاح.
3. يقوم الإحياء من منظور إسلامي على التوازن بين الحياة الروحية والمادية.
4. يقدم الفكر الإسلامي رؤية شاملة للإصلاح الاجتماعي والحضاري تختلف اختلافًا جوهريًا عن النموذج الغربي.
5. يتطلب إحياء المجتمعات الإسلامية إصلاحات فكرية وتعليمية وثقافية شاملة.

التوصيات

بناءً على نتائج البحث، تُقدم التوصيات التالية، وأهمها ما يلي:

1. يجب تعزيز وتطوير البحث العلمي حول مفهوم الإحياء في الفكر الإسلامي لمواجهة التحديات المعاصرة.
2. يجب دمج القيم العقائدية والأخلاقية في المناهج الدراسية لتنشئة أفراد متكاملين قادرين على المساهمة في الحضارة.
3. ينبغي تشجيع البحث العلمي في مجال الفكر الإسلامي المعاصر، بهدف بناء رؤية شاملة للنهضة.
4. يجب تعزيز الحوار بين الثقافات لتحقيق تفاعل إيجابي دون المساس بالهوية.
5. يجب الالتزام بوضع مخطط للحضارة الإسلامية المعاصرة يجمع بين الأصالة والحداثة، مستندًا إلى تجارب إنسانية متنوعة.

المصادر والمراجع

1. القران الكريم
2. طه عبد الرحمن، روح الحداثة: مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006
3. عبد المجيد النجار، دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الأول،1995
4. محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمود أبو رية، دار المعارف، القاهرة
5. مالك بن نبي شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1986
6. محمد عمارة التجديد في الفكر الإسلامي، دار الشروق القاهرة، 1993
7. سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث 4291.
8. محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، دار الشروق القاهرة، 1990
9. محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1993، ج 3
10. مالك بن نبي مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1971
11. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر، دمشق، 1971
12. راشد الغنوشي، النهضة والتحديات المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000
13. طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين التجديد والتغريب المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا، 2000
14. يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مكتبة وهبة، القاهرة، 1997
15. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة والنهضة، دار الشروق القاهرة 2001
16. محمد عمارة، التجديد في الفكر الإسلامي، دار الشروق القاهرة، 1993
17. محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، دار الشروق القاهرة، 1990